

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

٢٦

أهمية العلم بتاريخ نزول

آيات القرآن الكريم ومصادره



الأستاذ الدكتور
أحمد خالد شكري
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

الأستاذ
عمران سميح نزال
باحث في الدراسات القرآنية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم ومصادره

الطبعة الأولى

1248هـ - 2007م

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (1580/ 5 / 2007)

224

شكري، أحمد خالد.

أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم ومصادره/ أحمد خالد شكري، عمران سميح نزال.- عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، 2007.

( ) ص.

ر. إ: (1580 / 5 / 2007).

الواصفات: /نزول القرآن// القرآن//مصادر القرآن.

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

هاتف: 00962 6 5153557 - فاكس: 00962 6 5163925

ص. ب: 925894 - الرمز البريدي: 11190

حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (17671)

عمان - الأردن

www.hoffaz.org / e-mail: *hoffaz@hoffz.org*

أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم ومصادره

إعداد

أ. د. أحمد خالد شكري
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

عمران سميح نزال
باحث في الدراسات القرآنية

الطبعة الأولى

1428هـ - 2007م



جمعية المحافظة على القرآن الكريم

مقدمة

الحمد لله منزل القرآن على عبده منجماً في نحو ثلاث وعشرين سنة ليثبّت به فؤاد رسوله الأمين وأفئدة الذين آمنوا، وليكون هدى وبشرى للمسلمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد الذي قرأ القرآن على الناس على مكث كلما تنزل عليه القرآن تنزيلاً، وبعد :

فليس من السهل البحث في علم ينتمي إلى مجال الظن فيه أنه اكتمل بأصوله وفروعه، وهذا الكلام ينطبق على العلوم بصفة عامة وهو ظاهر بصفة خاصة في علوم الإسلام وبصفة أخص في مجال علوم القرآن الكريم، وفي هذا البحث جمع بين واحد من علوم القرآن وعلم التاريخ.

وإن علم التاريخ بصفة عامة ينطوي على جملة وافرة من الفوائد والمنافع للنوع الإنساني بالجملة، وللأمم المتطلعة إلى النهوض والرقي بشكل محدد، ثم لطائفة المتخصصين من أصحاب الفكر وأرباب الأقلام ذوي المواهب والمبادئ الطامحة إلى التغيير والإصلاح والنهضة بشكل أكثر دقة وتحديداً.

وعلم التاريخ يتسع ليشمل من المجالات والميادين ما يصل بداية كل شيء بنهايته، ويجمع الأوائل إلى الأواخر، والمقدمات مع النتائج والخواتيم، فكل علم من العلوم والمعارف البشرية يمكن أن يحدد الباحثون له بداية تاريخية هي نقطة الانطلاق وبداية البحث، ثم يتم التدرج في معرفة ما قُرّر وأصّل في

المراحل اللاحقة، وذلك مفيد جداً لمعرفة التدرج في تكامل مباحث العلوم، ولإدراك أن المعارف الإنسانية تراكمية، يستفيد المتأخر من المتقدم ويبني على ما وصل إليه، ويتابع رفع البناء المعرفي لبنة لبنة وصولاً إلى الكمال، وسعياً إلى توسيع دائرة المعرفة والإفادة من الكشوف والزيادات الجديدة.

ولو نظرنا إلى العلوم الإسلامية التي انبثقت من نقطة تنزل الوحي بكلمة (اقرأ) لوجدنا أن هذه البداية المدهشة وقعت في تاريخ معين، ومكان جغرافي معين، ثم بدأت تنداح كالدوائر، وتتوسع في جميع الآفاق والاتجاهات، دون أن تتلاشى، لأن المؤثر الدافع مستمر في العطاء، ولأن مجال هذه الدوائر يمتد على صفحة محيط البشرية زماناً ومكاناً، تاريخاً وجغرافية.

لا عجب إذاً أن نرى هذا التنوع وتلك الكثرة في العلوم التي استمدت من القرآن الكريم، والتي قدم العلماء والباحثون فيها من الجهود ما يستعصي على الحصر، ورغم كثرة التدقيق ودقة التحقيق، بقيت منها جوانب عديدة تحتاج إلى بحوث أعمق ونظرات أدق، لا سيما وأن مناهج البحث وآفاق المعرفة والعلوم تتطور بصورة مذهلة، مما يتطلب من الباحثين المعاصرين إعادة النظر فيما سبق، والإفادة من الإمكانات والتقنيات المتاحة لتطوير البحوث وإغنائها واقتناص المزيد من الفوائد والمنافع التي يمكن أن ترفد البناء المعرفي، وتزيد فيه زيادات نوعية متميزة.

وفي علم نزول القرآن الكريم - على سبيل المثال - نجد عشرات من البحوث والرسائل والأجزاء والمؤلفات، التي بحثت مسائل هذا العلم وفصلت القول فيها، حيث بحثت في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم، وطريقة التنزل ومجيء الوحي، وأسباب النزول، وتنجيم نزول القرآن

والحكمة من ذلك...، إلا أن جانباً مهمّاً لم ينل من البحث إلا إشارات يسيرة، ودراسات عارضة، ربما طرقته من غير قصد إليه، وتناولت بعض مسائله في طريقها إلى مباحث ومسائل أخرى، وهو: (العلم بتاريخ النزول) الذي يهدف إلى تتبع ترتيب نزول الآيات القرآنية وتحديد تاريخ نزولها أخذاً من تسلسل أحداث السيرة النبوية، واسترشاداً بما يعرف من حوادث محققة التاريخ معروفة الزمان، بحيث يكون ذلك معيناً على ترتيب نجوم وسور القرآن النازلة، ليكون ذلك الترتيب سبيلاً إلى معرفة الصلة بين ما نزل من القرآن وبين الأحداث الواقعة آنذاك، ووسيلة إلى تدبر القرآن وفهمه وفق القالب التاريخي والجغرافي.

وفي هذا الكتاب محاولة تسعى إلى معالجة آفاق هذا العلم ومباحثه من خلال تبيين معناه وأهميته وجهود العلماء فيه ومصادر معرفته، وطرق التوصل إلى تحديد تاريخ نزول الآية، وقد أعدنا النظر فيه بعد صدور الطبعة الأولى له عام 2002 بعنوان: "علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره" بغية تقديمه للنشر إلى إحدى المجلات المحكّمة، فتم اختصار بعض مباحثه وزيادة فوائد وتحقيقات عديدة عليه، وتعديل العنوان إلى: "أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم ومصادره" وقدّمناه إلى مجلة المنارة التي تصدرها جامعة آل البيت، وتمت الموافقة على نشره فيها بحمد الله تعالى، وآثرنا نشره في هذه الطبعة على صورته المنشورة في المجلة بتعديلات يسيرة ، والله الموفق لكل خير.

المؤلفان

1427/12/12هـ

2007/1/1م

تمهيد
معنى العلم بتاريخ نزول الآيات

معنى العلم: معرفة المعلوم من الذوات والصفات والمعاني على ما هو عليه[(1)].

وأما كلمة التاريخ فمعناها الإعلام بالوقت، وهو في الاصطلاح علم يدرس وقائع الزمان الماضية وأعمال البشر فيها علميّاً وماديّاً، وقيل: هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم[(2)].

والمراد به هنا العلم بالوقائع والأحداث التي تزامنت مع عهد النبوة ونزول القرآن وهي في ثلاث وعشرين سنة تقريباً[(3)]، فالتاريخ يدرس هذه المرحلة تحديداً، أي المدة الزمنية التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم ينزل القرآن عليه من الله تعالى عن طريق الوحي.

---

(1) أبو بكر الجزائري، العلم والعلماء، دار الشروق، جدة، ط الأولى، 1403هـ 1983م، ص11.

(2) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ) : **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، دار الكتاب العربي، ص 19.

(3) مدة نزول القرآن الكريم تحديداً هي اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف شهر (انظر: محمد أبو شهبة (ت 1403هـ، 1983م)، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، دار اللواء، الرياض، ط الثالثة، 1407هـ، 1987م، ص 55).

ومعنى كلمة النـزول ما أنزله الله تبارك وتعالى في هذه المـدة الزمنيـة مـن آيات وسور قرآنية، فليس موضوع البحث تاريخ القرآن وإنما تاريخ نزوله[4]، وهو متزامن مع حياة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد يكون تاريخ نزول آية في غير تاريخ نزول سـورتها، ولـذلك نبحـث عن تاريخ نزول السورة إجمالاً، ثم إذا وجد تاريخ خاص لنـزول آية مـا غـير تاريخ نزول سورتها تبحث منفردة بأدلتها النقلية والعقلية.

وقد يبدو العلم بهذا الأمر لبعض القارئين جديداً، ولعل الأمر الجديد فيه هو طريقة عرضه، ولفت النظر لأهميته وتبويب مسائله على نحو جديـد، أمـا حقيقة هذا العلم ومضمونه فقديم، وستأتي نصوص متعددة تدل على اهتمام العلماء به.

(4) المراد بتاريخ القرآن أو تاريخ المصحف: علم تاريخ كتابة القرآن الكريم في أطوارها المختلفـة، بـدءاً من كتابته الأولى في العهد النبوي . . . إلى يومنا هذا، وما يتداخل مـع هـذا العلـم مـن مباحـث مثل: كتبة الوحي، وسائل الكتابة، وأدواتها، منهج الجمع وتوثيقه، تحسين الكتابة وتطورها، رسم المصحف وضبطه.

الفصل الأول
أهمية العلم بتاريخ نزول القرآن الكريم

الفصل الأول

أهمية العلم بتاريخ نزول القرآن الكريم

ورد في عدد من آيات القرآن الكريم ما يشير إلى أهمية العلم بالتاريخ، ومن ذلك آيات القصص القرآني، ففيها درس تاريخي أراد القرآن أن يعلمه للمؤمنين لفهم دينهم وحياتهم وحركة التاريخ في الأمم التي سبقتهم.

وكذلك جاءت في الإسلام عبادات وتكاليف شرعية مرتبطة بالزمان والمكان، فالحج مثلاً له زمن في التوقيت ومكان في القصد، وكذلك الصلاة والصيام والزكاة، بل لا تكاد توجد عبادة غير مقرونة بتاريخ أو بوقت.

وفي القرآن الكريم إشارات عديدة إلى أهمية مراعاة التاريخ ومعرفة وقت نزول الآية أو ما نزل قبلها، وأنه يعين على فهم الآية، وفي الأمثلة التالية توضيح لهذا المعنى:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[5].

(5) سورة النساء، الآية 94.

قال القرطبي محمد بن أحمد (ت671 هـ): "﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي كذلك كنتم تخفون إيمانكم عن قومكم خوفاً منكم على أنفسكم حتى مَنَّ الله عليكم بإعزاز الدين وغلبة المشركين، فهم الآن كذلك كل واحد منهم في قومه متربص أن يصل إليكم، فلا يصلح إذ وصل إليكم أن تقتلوه حتى تتبينوا أمره"[6].

فقوله تعالى: ﴿كذلك كنتم من قبل﴾، أي كنتم تكتمون إسلامكم وإيمانكم في مكة قبل الهجرة، وبعد أن منَّ الله عليكم في المدينة بالدولة والقوة والمنعة أظهرتم إيمانكم، فالمعنى التاريخي متضمن في الآية ويصف كيف كان حال المسلمين في مكة أيضاً.

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾[7]، عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاء مَثْنَى وثُلاَثَ وَرُبَاع﴾[8] قالت: "يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره،

(6) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الفكر بيروت، 1415هـ 1995م، 3/ 292، سيشار إليه فيما بعد هكذا: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

(7) سورة النساء، الآية 127.

(8) سورة النساء، من الآية 3.

فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ الآية، قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليهم في الكتاب. الآية الأولى التي قال الله ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾..."[9].

فهذا تذكير من القرآن بضرورة معرفة السابق واللاحق من آيات القرآن الكريم، وهذا لا يتم من غير معرفة بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، لا من أجل معرفة وقت نزول الآية فقط، بل من أجل معرفة تدرج وتوسع التشريع في المسألة المعينة، فقد نزلت أحكام النساء في أول السورة ثم تعاقبت الأسئلة فنزلت الأجوبة في آيات متأخرة في تاريخ النزول عن الآيات السابقة، فيها أحكام جديدة قد تكون مبينة أو ناسخة أو مقيدة لما نزل قبلها.

وفي تتبع كلمات الأمكنة وكلمات الأزمنة في القرآن الكريم فوائد كثيرة كفيلة أن تفرد في بحث مستقل لأهميتها، من مثل كلمة اليوم في قوله تعالى :

---

(9) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: (وإن خفتم . . .) برقم (4298) ترقيم واعتناء: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط الثالثة، 1407هـ، 1987م، 4/ 1668 ومسلم في كتاب التفسير، باب تفسير آيات متفرقة، برقم (7444) مع شرح الإمام النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط الرابعة، 1418هـ، 1997م، 18/ 348، وأورده ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ) في تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ 1986م، 1/ 574، سيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن كثير، التفسير.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . . ﴾[10].

فهذه الأمثلة تدل دلالة واضحة على أهمية الفهم التاريخي ومدى الحاجة إليه لتفسير الآية ومعرفة معاني ألفاظها.

وفي السنة النبوية وما روي عن الصحابة الكرام ما يبين أهمية معرفة تواريخ النـزول للآيات القرآنية ويؤكد اهتمام الصحابة رضي الله عنهم به، ومن ذلك بكاء عمر بن الخطاب عند نزول آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ من سورة المائدة، وعندما سئل عن سبب بكائه قال: "أبكاني أنا كنا في زيادة فأما إذ كمل الدين فإنه لم يكمل شيء إلا نقص"[11]، وكان هو وعدد من الصحابة الكرام ومن التابعين يعلمون زمان ومكان نزول هذه الآية، فقد روى الطبري، محمد بن جرير (ت310 هـ) عن السدي في قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ قال: هذا نزل يوم عرفة، فلم ينـزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات، فقالت أسماء بنت عميس: حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل صلى الله عليه وسلم على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركت، فأتيته فسجيت عليه برداء كان عليّ "، وعن ابن جريج قال: "مكث النبي صلي الله عليه وسلم بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة"[12].

(10) سورة المائدة، من الآية 3.

(11) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 1415هـ، 1995م، 4/ 106، سيشار إليه فيما بعد هكذا: الطبري، جامع البيان.

(12) الطبري، جامع البيان 6/ 79-83.

واحتج ابن مسعود رضي الله عنه على المختلفين في عدة المرأة الحامل المتوفى عنها زوجها هل تنقضي عدتها بأول الأجلين أو بآخرهما بأن سورة الطلاق التي بينت أن عدة المرأة الحامل أن تضع حملها نزلت بعد سورة البقرة، فقطع بهذا البيان الخلاف وحسم الأمر بقوله: "أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة؟ لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى"[13].

وكذلك أخرج البخاري قول ابن مسعود: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه" [14].

وأخرج عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت211 هـ) في تفسيره قول علي ابن أبي طالب: "سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل"[15]، وهذا القول يتحدث عن زمن ومكان وتوقيت النزول، وكلها روافد تاريخية هامة في هذا العلم.

وقد رويت أقوال مشابهة عن غير واحد من الصحابة، فقد روي عن أبي

(13) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (وأولات الأحمال..) ، رقم الحديث 4626، 4/ 1864.

(14) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم 4716، 4/ 1912، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل ابن مسعود وأمه، برقم 6283، 16/ 234.

(15) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: د. مصطفى مسلم، دار العاصمة، الرياض، 3/ 241.

ابن كعب، وجابر بن عبدالله، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم روايات عديدة في تحديد السور والآيات المكية والمدنية، أخرجها جمع من أهل العلم في مؤلفاتهم [16]، وكلها تنبه على أهمية معرفة الزمان والمكان وفيمن وفيم نزلت الآيات ومَن المعنيُّ بالآيات الكريمة، وقد بدأت بعد عصر الصحابة مرحلة تأليف الكتب المختصة في علم ترتيب التنزيل، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وعلم المناسبة، وغيرها.

إن العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، لا يقصد حصر فهم آيات القرآن بالتاريخ الزماني والمكاني الذي نزل به القرآن، بل يسعى إلى اعتماد هذا العلم قاعدة ينطلق منها إلى فهم أدق وأوسع وأشمل، وذلك بتحقيق معرفة حكمة نزول هذه الآيات بسبب حدث معين أو شخص أو أشخاص معينين، حيث إن العلم بمن نزل فيهم القرآن أو بسببهم أو بسبب علاقة الإسلام بهم يعين قارئ القرآن على تدبره وفهمه وتفسيره.

ونستطيع القول إن هذا المنهج هو المنهج الذي سار عليه المسلمون الأوائل في تعلم القرآن الكريم وتعليمه، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي : "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا

---

(16) عبد الرزاق حسين أحمد: المكي والمدني في القرآن، دار ابن عفان،الطبعة الأولى 1420هـ 1999م، 1/ 61.

فعلمنا العلم والعمل"[17]، بل إن تعليم القرآن في العهد النبوي لم يتم إلا بهذه الطريقة لأن التعليم كان لما ينـزل من القرآن، فكلما نزلت آية أو خمس آيات أو عشر آيات علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه هذه الآيات بما فيها من علم وما تطلبه من عمل فردي وجماعي.

أي أن النهج النبوي في تعليم القرآن كان أيضاً يساير تاريخ نـزول آيات وسور القرآن الكريم في مكة والمدينة، وهذا ما يوضح التلازم بين تاريخ نزول القرآن وبين السيرة النبوية العطرة وسيرة الذين آمنوا من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم.

ومما يبين أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم أنه يمثل منهجاً في تدبر القرآن، وفي آيات الكتاب الكريم ما يدل على وجود هذا العلم ومقاصده، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تنـزيلاً﴾[18]، فوجود هذا المنهج التاريخي ثابت بهذا التوجيه من الله تعالى، وهو أن القرآن نزل مفرقاً على تواريخ مختلفة في مكة والمدينة حتى يقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس على مكث، وأما المقصود من

---

(17) رواه الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ) في المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1416هـ، 1996م، برقم 23482، 38/ 466، وقال محققه: ورواه الحاكم والبيهقي وابن سعد وابن أبي شيبة وإسناده حسن، وأورده الطبري في تفسيره جامع البيان عن ابن مسعود، 1/ 36، وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ) في مجموع الفتاوى، مقدمة التفسير، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، 13 / 331.

(18) سورة الإسراء، الآية 106.

ذلك فقد بينته الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[19]، وفي معنى قولـه: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ قال القرطبي: "ورسلناه ترسيلاً، أي شيئاً بعد شيء"[20]، وأصل الترتيل في اللغة: حسن تناسق الشيء [21]، والغاية منه تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(19) سورة الفرقان، الآيتان 32 و33.

(20) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 13/ 29.

(21) الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ،**القاموس المحيط**، دار إحياء التراث بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ 1991م، 3/ 559.

الفصل الثاني
جهود العلماء في العلم
بتاريخ نزول الآيات

الفصل الثاني

جهود العلماء في العلم بتاريخ نزول الآيات

كان اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم كثيراً، كيف لا وهو كلام الله تبارك وتعالى المنزل على رسول الله وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، بلسان عربي مبين، رحمة للعالمين، وقد كان هذا الاهتمام كبيراً لدرجة أننا ونحن اليوم في القرن الخامس عشر الهجري لا نستطيع حصر عدد أو أسماء الكتب التي صنفت حول القرآن في القرون السابقة.

ولم يكن اهتمام المسلمين محصوراً في مجال واحد من مجالات البحث في القرآن الكريم، بل تنوع وتعدد بقدر تعدد جهود العلماء، وتنوع أفهامهم واجتهاداتهم واختصاصاتهم، فقد صنف المتقدمون في تفسير القرآن وإعرابه وأساليبه وإعجازه وأحكامه كتباً كثيرة، كما صنفوا معاجم لغوية في مفرداته وألفاظه، وكتباً في معانيه وبلاغته وبيانه، وكان فيما صنفوا كتباً في علومه وتاريخه، إلا أن المصنفات التي جمعت علوم القرآن تحت عنوان واحد لم تكن كثيرة، وما صنف في تاريخه كان أقل منها.

وقد لمس قلة ما كتب في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794 هـ)، وأشار إلى ذلك في مقدمة كتابه البرهان بقوله: "ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع الناس ذلك

بالنسبة إلى علم الحديث"[22] وتبعه السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911 هـ) وهو من أكثر العلماء اطلاعاً وكتابة وتصنيفاً في شتى أنواع العلوم وخاصة علوم القرآن فقال: "ولقد كنت في زمن الطلب أتعجب من المتقدمين، إذ لم يدوّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث"[23].

وإن العلم بتاريخ نزول القرآن من العلوم التي لم تأخذ من المتقدمين حظها الذي تستحقه، فتناثرت بعض أبحاثه بين العلوم الكثيرة، وتداخلت بعض مباحثه بين كتب علوم القرآن والتفسير، والحديث النبوي والسيرة النبوية والتاريخ وغيرها، مما جعل التصنيف فيه صعباً وشاقّاً أكثر من غيره من العلوم.

وسيتم في هذا الفصل عرض جهود العلماء في تاريخ نزول الآيات من خلال مبحثين، تم تخصيص الأول منهما لجهود العلماء المسلمين، في حين اقتصر الحديث في المبحث الثاني على جهود المستشرقين وأتباعهم، ولا يعني إيراد جهود المستشرقين الموافقة لها وتأييدها، إنما يعني التنبيه إليها والدعوة إلى نقدها وتمحيصها، خاصة أن عدداً من المؤلفات في تاريخ القرآن كان حافز تأليفها الدفاع عن القرآن والرد على المستشرقين وأقوالهم الباطلة عن القرآن في هذا الجانب الذي قلّ اهتمام المسلمين المتقدمين بالكتابة فيه، وهو الجانب

---

(22) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية 1972م، 1/ 9، سيشار إليه فيما بعد هكذا: الزركشي، البرهان.

(23) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة الثقافية، بيروت، 1 / 3، سيشار إليه فيما بعد هكذا: السيوطي، الإتقان.

الذي وجد المستشرقون فيه ـ بحسب ظنهم ـ ميدان تشكيك وتخريب، ومن هنا كانت الحاجة إلى الربط بين ما كتب حول تاريخ القرآن عند المحدثين من المسلمين وما كتبه المستشرقون، مع الانتباه إلى أن ما كتب من قبل المسلمين حول تاريخ القرآن لم يكن كله ردّاً على المستشرقين، بل كان للدرس الديني أيضاً، وخاصة الدرس الديني الجامعي الذي أوجد الحوافز والدوافع للتأليف والتصنيف في هذا العلم، وربما وجدت حوافز ودوافع أخرى.

المبحث الأول

جهود علماء المسلمين

يمكننا ابتداءً أن نذكر أن معظم هذه الجهود مبثوث في كتب علوم القرآن وتاريخه، وفي كتب التفسير، ومن يتتبع ما يتعلق بهذا العلم من روايات منقولة وأقوال مقولة يجد كمّاً منها، إلا أن من أفرده بالتصنيف من المتقدمين قليل، وقد لا يعدو ما نجده عندهم أن يكون كلمات متفرقة في ثنايا المؤلفات التي عنيت بأمور أخرى، ولعل أشهر مؤلفات السابقين في هذا المجال القصيدة التي نظمها برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت732 هـ)، وعنوانها: تقريب المأمول في ترتيب النزول.

ومطلعها:

مكيها ست ثمانون اعتلت   نظمت على وفق النزول لمن تلا

اقرأ ونون مزمل مدثر   والحمد تبت كورت الأعلى علا[24]

---

(24) أورد القصيدة السيوطي في الإتقان 1 / 85 ، وأثبت عبد الرزاق حسين أحمد في كتابه المكي والمدني في القرآن الكريم، دراسة تاريخية قيمة عن المؤلفات في المكي والمدني وعن مؤلفيها، 1/ 79.

كما ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي، عدة دراسات عن تاريخ القرآن وتاريخ المصحف، ويلاحظ من عناوين هذه الكتب أنها تبحث في أمر عام هو تاريخ المصحف، وفي بعضها فصول أو دراسات حول ترتيب نزول الآيات، ومن هذه الكتب:

- تاريخ القرآن، لأبي عبدالله الزنجاني[25]، نشر دار الحكمة بدمشق.
- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي (ت 1980م)، طبع سنة 1365هـ في جدة.
- تاريخ المصحف الشريف، لعبد الفتاح القاضي (ت 1982م) ، نشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.
- تاريخ القرآن، لإبراهيم الإبياري (ت 1994م)، نشر دار القلم، 1965م.
- تاريخ القرآن الكريم، للدكتور محمد سالم محيسن (ت 2001م)، نشر مؤسسة شباب الجامعة في الإسكندرية، ونشرته رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة دعوة الحق 1414هـ.
- تاريخ القرآن، للدكتور عبد الصبور شاهين، طبع عدة مرات منها سنة 1966م، و1994م.
- القرآن الكريم الوثيقة الأولى في الإسلام/ مراحل التدوين، للدكتور محمد قبيسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1988م.

---

(25) نسبة إلى زنجان بإيران، كان حيّاً سنة 1935م، وهي السنة التي زار فيها مصر، وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ومن كبار علماء الشيعة، وكان واسع الاطلاع، عميق التفكير، غزير العلم بالفلسفة، (أخذت هذه المعلومات من مقالة لمحمد كرد علي نشرت في مجلة الرسالة، حين صدرت الطبعة الأولى لكتابه، ثم نشرت على أنها تقديم لكتابه في الطبعة الثانية، ومن تقديم طبعة منظمة الإعلام الإسلامي بإيران للأستاذ أحمد أمين).

- تاريخ المصحف في ضبطه ورسمه، لزيدان محمود سلامه العقرباوي، نشر سنة 1998م.
- الوحدة التاريخية للسور القرآنية (التفسير التاريخي لسورة الأحزاب نموذجاً) عمران سميح نزال ، نشر دار قتيبة للنشر والتوزيع ، دمشق وبيروت ، ودار القراء للنشر ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1427هـ - 2006م .

كما ظهرت بحوث ومقالات تتعلق بالموضوع، منها مقال للدكتور محمد عبد الله دراز (ت 1958م) نشره في مجلة الأزهر [26].

وبحث للدكتور محمد علي الحسن ذكر فيه الروايات المتعلقة بترتيب النزول ونقدها، وبيّن فيه أهمية هذا الموضوع وصعوبته، حيث قال: "إن ترتيب نجوم القرآن حسب النزول أمر صعب المنال ولكنه في حيز الإمكان، وهو على غاية من الأهمية في التفسير الموضوعي الذي بدأ الاهتمام به في الدراسات الإسلامية، والمزلة فيه خطيرة لها آثارها السيئة ونتائجها الوخيمة في استنباط الأحكام، كما أنه على جانب عظيم من الأهمية لبيان حكمة الله التشريعية في البعد عن الطفرة والمفاجأة، وأخذ الناس بالسهولة واليسر والرفق..." [27].

---

(26) الحسن: د. محمد علي ، **ترتيب نزول القرآن**، منشور في مجلة الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد 16، 1419هـ، 1998م، ص 35، وقد ذكر الباحث أنه حاول الاطلاع على هذا المقال فلم يتيسر له ذلك، سيشار إليه فيما بعد هكذا: الحسن، ترتيب نزول القرآن.

(27) الحسن، ترتيب نزول القرآن 49.

وبحث للدكتور إبراهيم خليفة نقد فيه بعمق وتمحيص روايات ترتيب نزول السور وتناقلها في كتب التفسير على علاّتها، وبيّن في بحثه أن على سرد السور مرتبة حسب النزول مآخذ عديدة، حيث لم تنزل جميع السور دفعة واحدة، كما بيّن إمكان ترتيب نجوم القرآن حسب النزول إذا توافر لهذا الترتيب أدلته من الرواية الصحيحة[28].

ومقال للأستاذ حسين أحمد أمين بعنوان: "قواعد يستضاء بها في محاولة ترتيب السور والآيات القرآنية وفق تاريخ النزول"[29]، وفيه بعض الأفكار الجيدة، إلا أنه احتوى على مجموعة من المغالطات غير المقبولة، وعدد من الآراء المردودة.

ومجموعة مقالات للدكتور محمد هلال، بعنوان: "محاولة في ترتيب نزول السور المدنية"، نشرت في حلقات على صفحات جريدة اللواء الأردنية، ويرى الكاتب أن السور القرآنية كانت تنزل منجمة متتابعة، وأن كل سورة أثناء فترة نزولها لم تكن تتقاطع مع سور أخرى إلا نادراً جدّاً، فإذا بدأ نزول سورة لم ينزل شيء من سورة غيرها حتى يكتمل نزول السورة الأولى وهكذا، وهو بهذا يخالف المشهور من تفرق نجوم السور وحصول التداخل بينها في النزول، بنزول آيات من سور أخرى، خاصة في السور الطويلة كسورة البقرة وآل عمران والمائدة.

---

(28) إبراهيم خليفة، حول ترتيب نزول السور القرآنية، منشور ضمن كتاب: دراسات إسلامية وعربية مهداة إلى العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين، دار الرازي، ط الأولى، 1423هـ / 2003م، ص116.

(29) منشور في مجلة الهلال، عدد ديسمبر 1998م.

كما ظهرت مجموعة من التفاسير الحديثة مرتبة حسب النـزول، وإن كنا نخالف هؤلاء في هذا المنحى، ونرى أن الالتزام بترتيب المصحف في تفسيره هو الأصل، وأن العلم بتاريخ نزول الآيات لا يستدعي تغيير ترتيب المصحف ولكنه يعين على الفهم التام للآية، ومن هذه التفاسير:

1 ـ بيان المعاني، للسيد عبد القادر ملا حويش العاني، في ستة مجلدات، نشر مطبعة الترقي، 1382هـ ـ 1962م ، وفي ظنه أن تفسيره أول تفسير على تاريخ النـزول [30]، وقد اعتمد في ترتيب السور ما ورد في مصحف فؤاد، الذي طبع في مصر في عهد الملك فؤاد، بإشراف لجنة من علماء الأزهر.

2 ـ التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة (ت 1984م)، في تسعة مجلدات، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1381 هـ 1962 م [31].

3 ـ معارج التفكر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت 1425 هـ ،2004م)، نشر منه خمسة عشر مجلداً تحتوي على السور المكية، وتوفي المؤلف قبل إتمام العمل [32].

---

(30) السيد عبد القادر ملا حويش : **بيان المعاني**، مطبعة الترقي، 1382هـ، 1963م، 1 / 5، سيشار إليه فيما بعد هكذا: ملاّ حويش، بيان المعاني.

(31) كتب الدكتور فريد مصطفى السلمان رسالته العلمية للحصول على درجة الدكتوراه بعنوان: **محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم**، وتعقب فيها عمل دروزة بالنقد والتمحيص، وقد نشرتها عام 1414هـ 1993م مكتبة الرشد في الرياض.

(32) صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار القلم بدمشق وبيروت، 1420هـ 2000م.

وقد سبق لمؤلف هذا التفسير وضع كتاب بعنوان: "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل"، خصص القاعدة التاسعة منه للحديث عن تتبع مراحل التنزيل، ووسائل التعرف إلى ترتيب نزول القرآن، ثم ذكر عدة أمثلة تؤكد أن معرفة ترتيب نزول الآيات يعين المفسر على تبين معناها، ويفتح له آفاقاً جديدة من التأمل والتدبر فيها [33].

إلا أنه حين وصل إلى ذكر ترتيب النزول اكتفى باعتماد الترتيب المنسوب إلى شيخ المقارىء المصرية: محمد بن علي الحسيني، دون أن ينعم النظر فيه، أو يعمل بالطرق التي ذكرها في كتابه لمعرفة ترتيب نزول الآيات والسور [34].

4 ـ تفسير القرآن المرتب منهج لليسر التربوي، للدكتور أسعد علي، نشر دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، الطبعة الأولى 1399 هـ ـ 1979م.

كما اعتنى بعض المفسرين المتأخرين بالبحث في ترتيب النزول، وممن يشار إليه بالبنان في هذا المجال سيد قطب (ت 1966م)، حيث كان أحياناً يناقش ما قيل في ترتيب نزول بعض السور لعدم مناسبته ما تناولته السورة من أحكام وموضوعات[35]، وكان يرى أن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع فيه بشيء ولا يكاد الإنسان يجد فيه شيئاً مستيقناً إلا في آيات معدودات

(33) حبنكة، عبد الرحمن حسن: **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، دار القلم، دمشق، ط الثانية، 1409هـ، 1989م، ص 151 ـ 177، سيشار إليه فيما بعد هكذا: حبنكة، قواعد التدبر.

(34) حبنكة : قواعد التدبر، ص 178 ـ 184.

(35) سيد قطب (ت1966م) : **في ظلال القرآن** ، دار الشروق، جدة، ط الرابعة، 1/ 554، سيشار إليه فيما بعد هكذا: سيد قطب، الظلال.

تتوافر بشأنها الروايات[36]، وله نظرات سديدة وآراء قيمة في ترتيب النـــزول مبثوثة في تفسيره [37].

وكذلك اعتنى بعض من كتب في السيرة النبوية بذكر تاريخ نزول الآيات، وما جاء فيه من الحديث عن أحداث بارزة، غالباً ما كانت كتب السيرة السابقة قد تناولتها بالرواية الحديثية أو الرواية التاريخية ومن هذه المؤلفات :

- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة مقتبسة من القرآن الكريم، تأليف محمد عزة دروزة (ت1984م) [38].
- السيرة النبوية في القرآن الكريم، دراسة وتصنيف الدكتور عبد الصبور مرزوق، نشر رابطة العالم الإسلامي، 1401 هـ .
- العرض القرآني لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، إعداد الدكتور عمر يوسف حمزة، نشر دار أسامة، الأردن 1996م.

---

(36) سيد قطب، الظلال، 3/ 1429.

(37) انظر مثلاً: سيد قطب، الظلال، 1/ 27 .

(38) عني بهذه الطبعة عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية صيدا - بيروت.

المبحث الثاني
جهود المستشرقين وأتباعهم

اهتم الغربيون من اليهود والنصارى وغيرهم بالتعرف على القرآن والإسلام والمسلمين وعلومهم والكتابة فيها، فأفرز ذلك ظاهرة تسمى الاستشراق[39]، وكان هدف معظمهم معرفة الآخر أو العدو والوقاية منه وصدّه وهزيمته إن أمكن، وشملت الظاهرة الاستشراقية الدراسات الإسلامية في جوانب عديدة منها في علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه والسيرة النبوية والجهاد، والأدب العربي وغيرها[40]،

(39) الاستشراق: تيار فكري تمثل في العديد من الدراسات عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، وكان له إسهام كبير في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الرياض، ط الثانية، 1409هـ، 1989م، ص33).

(40) انظر: د. ساسي سالم الحاج، **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، الطبعة الأولى 1991م، و**سيرة الرسول في تصورات الغربيين** للمستشرق الألماني جوستاف بفانمولر، ترجمة: د. محمود حمدي زقزوق، نشر مكتبة ابن تيمية، البحرين، ط الأولى 1406هـ،1986م، و**دواعي الفتوحات ودعاوي المستشرقين**، د. جميل عبد الله المصري، دار القلم، ط الأولى 1411هـ، 1991م، و**فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، د. أحمد سمايلوفيتش، من سراييفو، رسالة دكتوراه، 1974م.

وقد درس المسلمون مناهج المستشرقين ومؤلفاتهم وحذروا من أوهامهم وردُّوا عليها [41].

وفيما يخص تاريخ نزول القرآن فقد كان اهتمام المستشرقين كبيراً حتى ظن بعض الناس أن البحث في تاريخ القرآن من بدع المستشرقين في علوم القرآن، وقد أثبتنا في هذا البحث خطأ ذلك الوهم وبيّنا أصالة هذا العلم في تاريخ العلوم القرآنية وكتب علماء المسلمين.

ولم تخل دراسات المستشرقين في علوم القرآن من الإخفاقات الكثيرة التي ليس هنا مجال التوسع فيها ويحتاج بيانها إلى كتب مستقلة [42].

وكان لعدد منهم محاولات ومساع عديدة في ترتيب النزول على أسس ومناهج بحث قابلة للأخذ والرد ولا تسلم من النقد والنقض، وقد اعتمد المستشرقون في كتابتهم عن تاريخ القرآن ومحاولاتهم ترتيب نزوله على التحليل العقلي [43] والآراء التحكمية، وممن اشتهر بدراسة القرآن وعلومه: نولدكه (Theodore Noldeke) وبلاشير (Blachere. R) وأرثر جفري

---

(41) انظر كتاب: **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية**، لعدة مؤلفين، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج، سيشار إليه فيما بعد هكذا: مناهج المستشرقين.

(42) انظر كتاب **مباحث في علوم القرآن** للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط الثالثة عشرة، سيشار إليه فيما بعد هكذا: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، وكتاب **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية** للدكتور فضل حسن عباس، طبعة دار الفتح، الأردن، 1421هـ، 2000م، سيشار إليه فيما بعد هكذا: فضل عباس، قضايا قرآنية.

(43) يوسف درة الحداد : **القرآن والكتاب**، القسم الثاني أطوار الدعوة القرآنية، 290، سيشار إليه فيما بعد هكذا: الحداد، القرآن والكتاب.

(Arthur Jeffery) وجولد زيهر (Ignas Goldziher) ورودويل (Rodwell) ومـوير (William Muir) وريتـشارد بيـل (R. Bell) ومونتجـومري وات (Montgomery Watt)، ولهم في ذلك مؤلفات عديدة [44]، ولعل مـن أشـهر هذه الجهود ترتيب السور حسب النزول الذي بـدأه فيـل (Gotthold Wail) سـنة 1844م، وأكملـه نولدكـه سـنة 1860م، وصـححه صـاحبه شـفالّي (Schwally) سـنة 1872، وهـو المعـروف "بترتيـب نولدكـه " وقـد اعتمـده المستشرقون من كل الجنسيات مثل بلاشير في ترجمته للقرآن[45]، ويحتوي هـذا الترتيب اقتباسات كثيرة[46] من كتاب: "بيان عدد سور القرآن وكلماته وآياته ومكيه ومدنيه" لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت نحو 400 هـ)، وهو أحد المراجع المعتمدة في تحديد المكي والمدني لدى لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية وغيرها من اللجان.

ثم قام كل من شفالّي وبرجسترسر (Gotthelf Bergestrasser) بتصحيح محاولة نولدكه والإضافة عليها، وبالرغم من القول إن هذه المحاولة هي أشـهر تلك المحاولات وأهمها [47] فقد كانت أبرز نقاط الضعف فيـه اعتبـاره معظـم السور وحدات كاملة، وهو ما تلافاه ريتشارد بيـل ومونتجـومري وات حـين قسّما السور نفسها إلى وحدات يتكـون كـلٌّ منهـا مـن مجموعـة صـغيرة مـن الآيات.

---

(44) مناهج المستشرقين، 1 / 25.

(45) الحداد : القرآن والكتاب، ص 290.

(46) أشار إلى هذه الاقتباسات الزنجاني، تاريخ القرآن، 92، ونقله عنه فضل عباس، قضايا قرآنية، 177.

(47) حسين أحمد أمين، قواعد يستضاء بها في محاولة ترتيب السور والآيات القرآنية وفق تاريخ النـزول. مجلة الهلال ـ عدد شعبان 1419هـ، ديسمبر 1998م.

وكثيراً ما يمتدح المستشرقون بحوثهم ويصفونها بالعقلانية والتنويرية، ونحن نتحفظ من وصف دراسات المستشرقين بالعقلانية فقط[48]، إذ لا بد من تقييدها بالغربية، لأن الأصل في إطلاق صفة العقل أنها صحيحة، وهذا ما لم يثبت في دراسات المستشرقين التي تمثلت بدراسات وقراءات ناقصة لتاريخ نزول القرآن والسنة والسيرة النبوية [49] ، وهذا ما أدى إلى انكسار الاستشراق في نظر علماء المسلمين وبعض المستشرقين المنصفين.

وقد تابع المستشرقين في الكتابة التاريخية لنزول القرآن عدد من الكتاب من نصارى العرب منهم :

1- يوسف درة الحداد[50]، له سلسلة من الكتب بعنوان : دروس قرآنية، القسم الأول منها في بيئة القرآن الكتابية، والثاني : القرآن والكتاب: أطوار الدعوة القرآنية، بحث فيه ترتيب النزول وقسّمه إلى أطوار، ولم يأت فيه بجديد يستحق الذكر، وربما قصد من عمله التأكيد على

---

(48) انظر: عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، 1981م، ص11، ومحمد غشام، قراءة في: المستشرقون والقرآن لعمر لطفي العالم، مجلة الاجتهاد، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، العددان (50 و51)، 1991م، ص 345.

(49) انظر : رضوان السيد : نقد الاستشراق، مجلة الاجتهاد، العددان (50 و 51)، ص6.

(50) هكذا ورد اسمه في التعريف به في ثنايا أحد كتبه، وسماه دروزة: يوسف إلياس، واسمه في معظم كتبه: الأستاذ الحداد وهو من يبرود القلمون بلبنان، ولد سنة 1913م وتوفي سنة 1979م، ومعظم مؤلفاته في الدراسات القرآنية والإنجيلية والحوار الإسلامي المسيحي، ولدروزة كتاب: القرآن والمبشرون في الرد عليه، وليس على كتاب الحداد أي معلومة عن دار النشر أو سنة الطبع أو مكانه، وفي بعض كتبه ذكر دار النشر وهي: الدار البولسية ببيروت.

متابعة قساوسة الشرق لقساوسة الغرب في التهكم والسباب والكذب والافتراء ضد القرآن والإسلام والمسلمين ومقدساتهم.

2- أبو موسى الحريري ، تلميذ الحداد في كتبه، له كتاب اسمه "عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن)"[51]، فاق فيه أساتذته الحداد والمستشرقين في كرهه الفاضح للقرآن، بل والكذب والافتراء على القرآن الكريم وعلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام [52].

وما قلناه عن انتهاك يوسف درة الحداد لمصداقيته الشخصية والطائفية والدينية يصدق أيضاً على أبي موسى الحريري، ونتمنى أن لا يصدق على غيرهما من كتبة أهل الكتاب ، فحبذا لو أيقن أهل الكتاب أن ما كتبه الغربيون المستشرقون عن القرآن وتاريخه ليس جديراً بالتقليد، وأنهم إن قلدوهم فلن ينظروا إليهم إلا على أنهم شرقيون سواء أكانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين، لأن نظرة الغربي العلمية رهينة للمشروع السياسي وليس العكس كما بيّن ذلك عدد من الباحثين [53].

وبعد هذه الإشارة إلى جهود المستشرقين وأتباعهم نود التنبيه إلى أن وجود دراسات اهتمت بهذا العلم لأغراض غير علمية ولا منصفة – كما رأينا في

(51) الحريري: عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن)، دار لأجل المعرفة، ديار عقل، لبنان، ط الثالثة، 1986م، ولا تتوافر معلومات عن اسم الحريري أو حياته أو تاريخ وفاته.

(52) يظهر ذلك بوضوح لمن يطالع كتابه: عالم المعجزات.

(53) انظر على سبيل المثال: إدوارد سعيد : الاستشراق، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط الثانية 1984م، ص47.

جهود المستشرقين ومن تبعهم[54] – يدعونا إلى أن نبحث في هذا العلم بمنهج علمي متجرد من التعصب والهوى وبدراسة علمية ترد على المغرضين وتزيل اللبس والإشكال عن طلبة العلم، فهذا العلم واحد من علوم القرآن التي تعين على فهمه وتدبره، ولا ينبغي إخلاء ساحته لهم ولا لغيرهم، بل يجب الرد عليهم وتبيين موضع خطئهم وسلوك المنهج الأمثل في البحث العلمي.

(54) أشار إلى جهود المستشرقين في ترتيب النزول ورد عليهم عدد من العلماء، منهم على سبيل المثال:

- د. فريد مصطفى السلمان في كتابه: **محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم**، ص 127 – 133.
- د. ساسي سالم الحاج في كتابه: **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**، 2/ 303.

الفصل الثالث
مصادر العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم

الفصل الثالث

مصادر العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم

يحتاج الباحث في تحديد وقت نزول الآية إلى الرجوع إلى عدد من العلوم التي تعينه على ذلك، ومعظمها من علوم القرآن الكريم، وقد يوجد في بعضها إشارات ذات دلالة قوية تساعد على تحديد وقت نزول الآية ولو بصورة تقريبية، وقد يحتاج الأمر الرجوع إلى أكثر من علم ومراجعة أكثر من مسألة، وفيما يلي ذكر العلوم التي تعد مصادر لتحديد تاريخ نزول الآيات:

1- علم المكي والمدني وروايات ترتيب نزول السور: عناية العلماء بعلم المكي والمدني كبيرة وقديمة، وأفرده جماعة منهم بالتصنيف، وذكره آخرون ضمن تفاسيرهم أو ضمن مؤلفاتهم في علوم القرآن، ومنهم من ذكر تفاصيل دقيقة تتعلق بأحوال وأماكن نزول الآيات، وذكروا لها فروعاً عديدة أوصلها بعضهم إلى خمسة وعشرين، ومن ذلك قول أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري(ت406 هـ): " من أشرف علوم القرآن علم نزوله، وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل

بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نـزل مـشيعاً، ومـا نـزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي، فهذه خمسة وعشرون وجهاً، من لم يعرفها ويميـز بينهـا، لم يحـلَّ لـه أن يـتكلم في كتـاب الله تعالى"[55].

وقد بذل العلماء جهوداً عديدة في تحديد الآيات والسور المكيـة والمدنيـة، وفي الترجيح بين السور المختلف فيها هل هي مكية أو مدنية بمرجحات عدة، عن طريق الرواية أو عن طريق الاجتهاد مـن خـلال النظـر في مـدى انطبـاق ضوابط ومميزات كل من الآيات المكية والمدنية عليها[56].

كما وردت روايات عديدة تحدد ترتيب نزول السور، وهي مروية عن عدد

(55) نقله عنه السيوطي في الإتقان 1/ 8، وكتاب النيسابوري اسمه: التنبيه على فضل علوم القرآن.

(56) ممن بحث في المكي والمدني وفي الترجيح بين السور المختلف فيها:

- د. أحمد البدوي في كتابه: **أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها.**
- د. فضل حسن عباس في كتابه: **إتقان البرهان في علوم القرآن.**
- عبد الرزاق حسين احمد في رسالته للماجستير: **المكي والمدني في القرآن** (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).
- رنا أحمد بسام القدسي في رسالتها للماجستير: **المكي والمدني في القـرآن الكـريم** (الجامعـة الأردنية).

من الصحابة والتابعين[57]، وبين هذه الروايات اختلافات في عدد من السور، ومنها ما روي بأسانيد غير صحيحة، ولذا فإن هذه الروايات لا تعد يقينية ولا يجزم بما فيها دون عرضه على مرجحات أخرى تؤكد ما في هذه الروايات أو تنفيه، ومن الأمثلة على ردّ ما في هذه الروايات أن معظمها يذكر أن ثاني ما نزل بعد صدر سورة العلق: صدر سورة القلم، وهو مردود لمخالفته الحديث الصحيح المصرح بأن ثاني ما نزل هو صدر سورة المدثر[58].

كما بحث العلماء في تحديد أول ما نزل وآخر ما نزل من الآيات، وذكروا في ذلك روايات عديدة، وبالنسبة لأول ما نزل فإن الأمر يكاد يكون متفقاً

(57) تنظر هذه الروايات عند ابن الضريس، محمد بن أيوب (ت294هـ)، **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، ط الأولى، 1408هـ 1987م، والزهري، محمد ين مسلم بن شهاب (ت124هـ)، **تنزيل القرآن الكريم بمكة والمدينة**، مطبوع ضمن كتاب: نصوص محققة في علوم القرآن الكريم، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، جامعة بغداد، وابن النديم، محمد بن إسحاق (ت438هـ)، **الفهرست**، تحقيق: رضا – تجدد، طهران، 1391هـ، 1971م، ص28، والبيهقي، أحمد بن الحسين (458هـ)، **دلائل النبوة**، 7/ 142، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، والسخاوي، علي بن محمد (ت643هـ)، **جمال القراء وكمال الإقراء**، تحقيق: عبد الحق عبد الدائم سيف، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، 1419هـ، 1999م، 1/ 298، سيشار إليه فيما بعد هكذا: السخاوي، جمال القراء، والزركشي، **البرهان**، 1/ 194، والسيوطي، **الإتقان**، 1/ 85، ودروزة، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية، 1381هـ، 1962م، 1/ 8، وحبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق، 1420هـ، 2000م، 1/ 6، وملا حويش، **بيان المعاني**، 1/ 4.

(58) وهو حديث جابر وفيه: "بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر. قم فأنذر﴾ إلى قوله ﴿والرجز فاهجر﴾ فحمي الوحي وتتابع"، رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث4، 1/ 5.

عليه لصحة الرواية وصراحتها في تحديد أول ما نزل مطلقاً وأنه صدر سورة العلق، وأن ما تبعه بالنزول كان صدر سورة المدثر، أما تحديد آخر ما نزل فقد اختلف فيه على أقوال عديدة وأرجحها أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يوماً تُرجَعُونَ فِيهِ إلى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[59].

2- علم أسباب النزول: معرفة أسباب النزول من أنواع علوم القرآن المهمة للمفسر والمتدبر والباحث في تاريخ نزول القرآن الكريم، لما ورد فيها من أخبار كثيرة عن الصحابة الذين عايشوا النزول والتابعين الذين سمعوا من الصحابة مباشرة عن قصة الإسلام في أيامه الأولى وما فتح الله تعالى على المؤمنين من نصر مبين، ومن أوائل ما صنف في هذا الموضوع كتاب أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت468 هـ)، الذي قال: "فآل الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين المتسترين بعلوم الكتاب، إبانة ما نزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدُّوا في الطلاب... وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا

(59) بَحَثَ في أول ما نزل وآخره معظم من كتب في علوم القرآن، انظر على سبيل المثال:عبد الوهاب غزلان، التبيان في مباحث من علوم القرآن، مطبعة دار التأليف، مصر، ص74-90، ومناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط الثامنة عشرة، 1412هـ، 1991م، ص65-71، والآية 281 من سورة البقرة.

الكتاب الجامع للأسباب لينتهي إليه طالبو هذا الشأن، والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب، ويجدُّوا في تحفظه بعد السماع والطلب"[60].

وقال ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت728 هـ): "ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها"[61].

وفي عدد من المؤلفات في أسباب النزول محاولة الاقتصار على ما صح منها فقط وهو توجه جيد، كما وُجدت دراسات وبحوث تؤصل لهذا العلم وتبين موقف الباحث من تعدد روايات أسباب النزول وتعارضها وتباعدها زمنياً ونحو ذلك من إشكالات هذا العلم[62]، وفي كثير من روايات أسباب النزول النص على وقت نزول الآية أو التلميح إليه، مما يعين الباحث في ترتيب النزول على تلمس طريقه ومحاولة تحديد وقت نزول الآية، وقد يتطلب الأمر من الباحث التدقيق في الرواية لاستخراج قرائن تعينه على تحديد وقت نزول الآية كذكر مكان ما فيها، أو من خلال اسم الصحابي راوي سبب النزول وما أشبه ذلك.

---

(60) الواحدي، أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت، ص9.

(61) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، نشرها قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة 1397، القاهرة، ص11.

(62) ممن ألف مقتصراً على الصحيح من أسباب النزول: مقبل بن هادي الوادعي في كتابه: الصحيح المسند من أسباب النزول، وممن بحث في دقائق علم أسباب النزول: عبد الرحيم فارس أبو علبة في رسالته للماجستير: أسباب نزول القرآن دراسة وتحليل.

3- علم المناسبات بين الآيات: هو " علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة... وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها ـ والله اعلم ـ إلى معنى رابط بينهما: عام وخاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه. أو التلازم الخارجي، كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء، وقد قلَّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط."[63].

فعلم المناسبة هو علم ترابط القرآن بعضه ببعض، وله جوانب عديدة، منها ترابط الآيات في السورة الواحدة، وترابط السور كلها من حيث توافق خاتمة السورة مع فاتحة التي تليها، ومن حيث توافق موضوعات كل سورة وتناسبها، وإذا كانت الآية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع ما حولها فإنه يترجح نزولها معاً في نجم واحد وهو ما يعبر عنه: بالمناسبة التنزيلية، إلا إذا دلت رواية أو ترجيح آخر على غير هذا الترجيح.

كما أن الروايات المتعلقة بوقت نزول الآية قد تحدد وقت نزولها، وهو ما يسمى: المناسبة التاريخية لها، ومن الأمثلة على ذكر المناسبة التاريخية ما رواه ابن إسحاق (ت151 هـ): "وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك

(63) الزركشي، البرهان 1/ 36.

اليوم وما كانوا أجمعوا له: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذين كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرِين﴾"[64].

وكان قصد ابن إسحاق بذلك اليوم يوم الهجرة من مكة إلى المدينة، فالمناسبة التاريخية لهذه الآية مكر قريش في دار الندوة بالنبي صلى الله عليه وسلم بهدف قتله حتى لا يهاجر وتقوى دعوته، وتاريخ نزول سورة الأنفال بعد غزوة بدر أي بعد السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة، أي أن هذه الآية تتحدث عن حادث وقع يوم الهجرة، فالمناسبة التنزيلية هنا متأخرة عن المناسبة التاريخية لأن تاريخ نزول سورة الأنفال بعد معركة بدر بحكم المناسبة التنزيلية لسورة الأنفال، إن كانت هذه الآية نزلت في ذلك الوقت.

ويقصد بالمناسبة التاريخية أيضاً نزول الآيات في أحداث وقصص تاريخية مثل ما نزل من القرآن في الغزوات والفتوحات في العهد النبوي كما في صلح الحديبية ثم فتح مكة، فالمناسبة التاريخية لنزول الآية تتزامن مع الحدث التاريخي الذي تتحدث عنه أو مع تاريخ الغزوة إلا إذا وجد دليل قوي ومرجح يحول دون ذلك.

ويقصد بالمناسبة التاريخية أيضاً معرفة تاريخ نزول الآية أو السورة من خلال معرفة وقت نزول آية أخرى قبلها أو بعدها أو من تاريخ قصة الآية التي قبلها أو بعدها، فإذا عرفنا أو رجحنا تاريخ نزول آية ما فإن تاريخ نزول

---

(64) ابن هشام، عبد الملك المعافري (ت213هـ) : السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 2 / 484، سيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن هشام، السيرة النبوية، والآية 30 من سورة الأنفال.

الآية التي تليها في نفس السورة لها نفس التاريخ إلا إذا وجد للآية التالية تاريخ آخر ثبت بالنقل أو بالعقل.

فالمناسبة التاريخية بهذا المعنى تلتقي مع المناسبة التنزيلية في سياق النزول في السورة الواحدة وفي سياق الحدث التاريخي للقصة الواحدة، إلا إذا وجد مانع من ذلك، من حديث صحيح أو تعليل عقلي قاطع.

ومما يجدر التنبيه إليه أن علم المناسبة بين الآيات بجميع فروعه قائم على الاجتهاد، ولذا فيمكن أن تختلف المناسبة التاريخية بين باحث وآخر.

أما محاولة تحديد وقت نزول الآية من خلال البحث في ما نزل في موضوعها فهو: المناسبة الموضوعية، وهي معرفة موضع الآية بالنسبة لما نزل في موضوعها من القرآن الكريم قبلها أو بعدها، ومثاله مراحل تحريم الخمر أو الربا أو تشريع القتال وغيرها، فلم ينزل تشريع واحد دفعة واحدة بل كان يتواصل النزول في القضية الواحدة في أكثر من مناسبة تنزيلية وتاريخية، إن علم المناسبة الموضوعية مفتاح للتفسير الموضوعي لأنه يدرس الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة وللموضوع الواحد في سياق الوحدة الموضوعية للقرآن كله بحسب ترتيب النزول.

وإذا بحثنا عن الصلة بين علم المناسبة وعلم أسباب النزول نجد أنهما علمان يكملان بعضهما، أي أن علم المناسبة هو المكمل لعلم أسباب النزول فإن لم يوجد سبب نزول وجدت مناسبة نزول، فآيات القرآن كلها موزعة بين أسباب النزول ومناسباته.

4- علم الناسخ والمنسوخ: أكثر المتقدمون من التصنيف في الناسخ والمنسوخ، وهو العلم الذي لا يثبت إلا بالتاريخ، سواء أكان ثبوته رواية أم دراية، أي نقليّاً أو عقليّاً، فلا يسبق الناسخ المنسوخ في التاريخ، وأكثر روايات الناسخ والمنسوخ آثار موقوفة أو مقطوعة.

ومن أوائل المصنفين في هذا العلم أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (224 هـ)، الذي ذكر في الباب الأول من كتابه فضل علم ناسخ القرآن ومنسوخه، وروى فيه عن أبي عبد الرحمن السلمي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرَّ بقاص يقص فقال: "هل علمت الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا، قال : هلكت وأهلكت"[65].

وذكر ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت579 هـ)، خمسة شروط معتبرة في ثبوت النسخ، قال في الشرط الثاني منها: "أن يُعلم بطريق التاريخ، وهو أن ينقل بالرواية بأن يكون الحكم الأول ثبوته متقدماً على الآخر"[66].

والخلاف بين العلماء في عدد الآيات المنسوخة كبير وذلك بسبب اختلافهم في تعريف النسخ لغة واصطلاحاً من جهة[67]، وبسبب طرق إثبات النسخ من جهة أخرى، فمنهم من يثبت النسخ بالدليل النقلي مما ورد في روايات النسخ عن النبي

---

(65) أبو عبيد القاسم بن سلام، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، تحقيق محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، 1411هـ، صـ4، سيشار إليه فيما بعد هكذا: أبو عبيد، الناسخ والمنسوخ.

(66) ابن الجوزي، نواسخ القرآن، تحقيق: محمد المليباري، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الأولى، 1404هـ، صـ96.

(67) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ص260.

صلى الله عليه وسلم أو آثار الصحابة أو التابعين، ومنهم من يثبته دراية وعقلاً، والصواب أن يكون لكلا الطريقين ضوابط علمية معتمدة من أهل العلم، فلا بد من صحة الرواية ولا بد من دقة الدراية، ولا بد أن تخضع الطريقتان لعلم تاريخ النزول، أي لا بد من التأكد من الفوارق الزمنية للمناسبات التاريخية والمناسبات التنزيلية والمناسبات الموضوعية حتى يصح وقوع النسخ.

لذا فإن علم الناسخ والمنسوخ علم مطرد مع علم تاريخ نزول القرآن، فإذا ثبت النسخ، فالآية المنسوخة متقدمة في النزول، والناسخة متأخرة في النزول حتماً، ولا يثبت خلاف ذلك قطعاً.

ومما ينبغي الالتفات إليه مراعاة أن تكون الآية الناسخة متأخرة في الترتيب عن المنسوخة لذا فما قاله بعضهم: "ليس في القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله في الترتيب إلا آيتين: آية العدة في البقرة ، وقوله تعالى:﴿لا يحل لك النساء﴾[68] نسختها الآية (50) من السورة نفسها"[69]، يحتاج إلى تأمل، ومما يرجح القول بنفي النسخ فيهما أن المناسبة التنزيلية للآية الناسخة قبل المنسوخة في السورتين.

فبالنسبة لآية العدة فقد ورد عن عدد من الصحابة القول بنسخها[70]،

---

(68) سورة الأحزاب، الآية 52.

(69) أورده السيوطي في الإتقان 2 / 42، وابن حجر، أحمد بن علي في فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 8/ 194.

(70) كما في الرواية عن ابن الزبير قال: "قلت لعثمان بن عفان: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه". رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير الآية 234 من سورة البقرة، رقم الحديث 4256، 4/ 1646.

وورد عن عدد من التابعين والمفسرين والعلماء القول بعدم نسخها، خاصة إذا حملنا معنى الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[71]، على أنها في تبيين عدة الزوجة المتوفى زوجها وهي أن تتربص أربعة أشهر وعشراً فلا تتزوج قبل انتهائها، والآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[72] على أنها تتكلم عن الوصية في النفقة على الزوجة بعد وفاة الزوج وليس عن عدة الوفاة للزوجة[73]، فينتفي على هذا التفسير كون الآية الأولى ناسخة للثانية، وهو قول عدد من أهل العلم[74]، ورواه البخاري عن مجاهد[75].

---

(71) سورة البقرة، الآية 234.

(72) سورة البقرة، الآية 240.

(73) أبو عبيد، الناسخ والمنسوخ، ص129.

(74) ذكر عدم النسخ: مكي بن أبي طالب في كتابه: **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، ط الأولى، 1406هـ، 1986م، ص184، سيشار إليه فيما بعد هكذا: مكي، الإيضاح، ورجحه السخاوي، معللاً ذلك بعد جواز تقدم الناسخ عن المنسوخ، جمال القراء 2/ 629، وانظر حاشية رقم 6 ص 216 من كتاب: نواسخ القرآن لابن الجوزي.

(75) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير الآية 234 من سورة البقرة، برقم 4257، 4/ 1646.

وبالنسبة لموضع الأحزاب، رجح الطبري بعد أن أورد الأقوال في معنى الآية عدم النسخ فيها، وأشار إلى عدم وجود نص يتقدم نزول الآية المتأخرة على المتقدمة [76].

ورجح السخاوي عدم النسخ واحتج بتقدم الآية التي قيل إنها ناسخة على المنسوخة، ونقل مكي بن أبي طالب احتمال عدم النسخ عن عدد من العلماء، كما ذكره القرطبي ونقله عن بعض فقهاء الكوفة اعتماداً على المناسبة التنزيلية[77].

كما ردّ القرطبي وغيره القول بأن آية الفيء وهي قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى . . .﴾[78]، منسوخة بآية الغنائم وهي: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيءٍ فأَنَّ لله خُمُسَهُ . . .﴾[79]، بقوله:" وقد قيل إن سورة (الحشر) نزلت بعد الأنفال، فمن المحال أن ينسخ المتقدم المتأخر..."[80].

5- الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة: قد يرد في عدد من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة الدلالة على الزمان والمكان، فإذا كان للحديث ارتباط بالآية كان مصدراً لتحديد وقت نزولها، ومن ذلك ما

---

(76) انظر: الطبري، جامع البيان، 10/ 28-30.

(77) مكي، الإيضاح، ص385-388، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 14/ 219، والسخاوي، جمال القراء، 2/ 795.

(78) سورة الحشر، من الآية 7.

(79) سورة الأنفال، من الآية 41.

(80) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن 18/ 14، والسخاوي، جمال القراء، 2/ 861.

ورد أن ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَال: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ. . .﴾[81] إلا أربع سنين"[82]، ففي هذا النص تحديد تاريخ النـزول صراحة وأنه أربع سنين بعد إسلامه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت ﴿الذين آمنوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[83] قال الصحابة: وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[84]" [85]، وهذه الرواية تجعل تاريخ نزول آية سورة لقمان بعد تاريخ نزول آية سورة الأنعام[86].

وفي كتب الحديث كثير من الروايات التي فيها تفسير، أو سبب نـزول، أو تشير إلى صلة، أو تتضمن معلومة تاريخية عن زمن النـزول.

---

(81) سورة الحديد، الآية 16.

(82) رواه مسلم في كتاب التفسير، رقم (7466)، 18/ 356 .

(83) سورة الأنعام، الآية 82.

(84) سورة لقمان، من الآية 13.

(85) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، برقم (32) 1/ 21، وفي كتاب التفسير، باب (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) برقم 4353، 4/ 1694.

(86) ورد في رواية أخرى ما يوهم أن الآية التي في لقمان كانت نازلة قبل، وأن الصحابة قالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس بذلك، ألا تسمعون إلى قول لقمان" وفي رواية: "ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان" وظاهرها أن الآية التي في لقمان كانت معروفة عندهم، وجمع ابن حجر بين الروايات بقوله: "يحتمل أن يكون نزولها وقع في الحال فتلاها عليهم ثم نبههم، فتلتئم الروايتان" ابن حجر، فتح الباري، 1/ 88.

6- علوم المغازي والسير والتراجم: أول من نـبّه إلى دور علم المغازي والسير بتاريخ نزول القرآن علامة السيرة ابن إسحاق (ت151 هـ) ومهذبها وشارحها ابن هشام (ت213 هـ) رحمهما الله تعالى، فقد بيّن ابن هشام منهجه في شرحه وتهذيبه كتاب السيرة وموقفه من سيرة ابن إسحاق فقال: "وأنا إن شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب:

1ـ مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر.

2 ـ ولا نزل فيه من القرآن شيء.

3 ـ وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه لما ذكرت من الاختصار.

4 ـ وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته.

5 ـ ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به"[87].

(87) ابن هشام : السيرة النبوية 1 / 4.

فقولـه: " ولا نزل فيه من القرآن شيء "، يوضح اهتمـام علمـاء الـسيرة الكبار مثل ابن إسحاق وابن هشام وهما من أوائل من كتب في السيرة النبوية الشريفة بما نزل من القرآن متزامناً مع تواريخ السيرة وأحداثها.

وروايات علم المغازي والسير كثيرة ومتقدمـة في التـأليف عـن تـاريخ نـزول آيات القرآن بأسبابه ومناسباته وعن كتب علوم القرآن، فليست محـصورة بمـا هـو متعلق بالشمائل النبوية وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسـلم وصـفاته فقـط، بل لا يخلو كتاب في السيرة من معرفة متعلقة بالقرآن الكريم ومن هذه الكتب:

الـشمائل النبويـة والخـصائل المـصطفوية للمحـدث الترمـذي (279هــ)، وأخلاق النبي وآدابه للأصبهاني (369 هـ) وغيرها.

وأما الكتب التي تركز على السير والمغازي والأحداث الدعويـة الفكريـة والعسكرية والتي تمثل المناسبات التاريخية لنـزول آيات القرآن فمنها : مغازي ابن إسحاق (151 هـ) وتهذيبها لابن هـشام (213 هــ) والمغـازي للواقـدي (207 هـ) وغيرها.

ومن الكتب المفيدة أيضاً كتب الطبقات وأهمها الطبقات الكبرى لابـن سعد (230 هـ)، ومنها كتب التاريخ وأهمها كتـاب تـاريخ الأمـم والملـوك لابن جرير الطبري (310 هـ)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (597 هـ)، والبداية والنهاية لابن كثير (774 هـ)، ففي هذه الكتب روايات كثيرة متصلة بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم.

ومن المصادر التي يمكن الإفادة منها في علـم تـاريخ نـزول آيـات القـرآن الكريم، الكتب التي صنفت للتعريف بالـذين آمنـوا مـن الـصحابة والتـابعين

وتابعيهم، فقد كان تاريخ المسلمين في العهد النبوي حافلاً بالأحداث العظام والتضحيات الجسام، وتزامن ذلك مع نزول آيات القرآن الكريم، فلما صنفت كتب الرجال ومن أهمهم الصحابة وفيها تاريخ ولادتهم وقصة إسلامهم ووفاتهم وما كان لأحدهم من دور في الأحداث في العهد النبوي بل وقبله وبعده أيضاً، اقترن مع ترجمة بعضهم ذكر ما نزل من القرآن في حقه من أسباب ومناسبات وفيما نزل وفيمن نزل القرآن.

ولأن الصحابة رضوان الله عليهم هم أوائل الذين آمنوا وهم الذين عاينوا التنزيل وشهدوا على زمانه ومكانه كما نقل عن غير واحد منهم، فإن شهادتهم هي شهادة المشارك لأحداث التاريخ في العهد النبوي المكي والمدني لذا فهي مصدر مهم لمعرفة ما نزل من القرآن الكريم.

ومن أهم الكتب المؤلفة في تراجم الصحابة:

- فضائل الصحابة: للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل (241 هـ).
- تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي (354 هـ)، ومما ورد فيه عن رفاعة بن قرظة القرظي الأنصاري أنه نزل فيهم: ﴿ولَقَد وصَّلْنَا لَهُمُ القَوْل لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُون﴾[88]، وفيه أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[89] نزل

(88) ابن حبان، أبو حاتم محمد البستي، تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، تحقيق: بوران ضناوي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، الأثر رقم 431، ص99، سيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن حبان، تاريخ الصحابة، والآية 51 من سورة القصص.

(89) سورة الكوثر، الآية 3.

في العاص بن وائل السهمي[90]، وهذا الأثر مما يرجح القول بمكية السورة.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر (463 هـ).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعزالدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (630 هـ).
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748 هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة، لشهاب الدين أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني (852 هـ).

وغير هذه الكتب كثير فقد لا تخلو كتب تراجم الصحابة من روايات ومعلومات مفيدة في علم تاريخ نزول القرآن، وقد أكثر ابن إسحاق من ذكر أسماء من نزل فيهم القرآن، وعقد له السيوطي باباً في الإتقان[91].

وكما أن ترجمة الصحابي تفيد في معرفة التاريخ فقد تكون عاملاً مهمّاً في نقد الرواية التي قد يرد اسم الصحابي فيها إن لم يكن عاصر القصة، إما لصغر سنه أو عدم إسلامه أو أن وفاته كانت قبل وقوع القصة التي قيل بنزول القرآن فيها، لذا تعد هذه الكتب مصدراً لا يجوز تجاهله في معرفة تاريخ نزول بعض آيات القرآن الكريم، كما أنها مصدر مهم في معرفة رواة الحديث النبوي الشريف، ومعرفة علم علل الرواية في سندها ومتنها.

---

(90) ابن حبان، تاريخ الصحابة، الأثر رقم 884، ص173 و174.

(91) السيوطي : الإتقان 2 / 434.

الفصل الرابع
طرق التوصل إلى تحديد تاريخ نزول الآية

الفصل الرابع

طرق التوصل إلى تحديد تاريخ نزول الآية

لم يذكر القرآن الكريم صراحة تاريخ نزول آية أو سورة قرآنية، بل لم يذكر صراحة تاريخ حادثة واحدة من يوم خلق الله تعالى السماوات والأرض إلى قصة آدم عليه السلام ومن أتى بعده من الأنبياء والرسل حتى حادثة نزول القرآن في غار حراء وإلى تاريخ انتهاء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، لأن القرآن قصد العبرة وليس المعرفة التاريخية نفسها.

وكذلك فإن العلم بتاريخ نزول آيات وسور القرآن لا يهدف إلى المعرفة التاريخية إلا من أجل العبرة التشريعية في تتابع معاني القرآن ومعرفة أسبابه ومناسباته ومتقدمه ومتأخره وناسخه ومنسوخه، وذلك لا يكون دراسة متكاملة إلا بمعرفة تواريخ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم.

وما كتبه المؤرخون في تحديد التواريخ بالأيام والأشهر والسنين والعقود والقرون اجتهاد منهم وليس على القطع واليقين، وفيما يخص تاريخ النبوة المحمدية والسيرة العطرة ذكر المحدثون والمؤرخون روايات كثيرة فيها تحديد بعض أحداث السيرة ومن نزل فيهم قرآن، وبالنظر إلى أهمية هذه الروايات فإنها تُعَدُّ من أهم مصادر العلم بتاريخ نزول آيات القرآن، لأنها شهادات شخصية رويت عمن شاهدوا الأحداث والمناسبات وشاركوا فيها وكانوا من أهلها، ولكن هذه الشهادات التاريخية ليست المصدر الوحيد لمعرفة تواريخ

النـزول، لأن في الآيات القرآنية نفسها ألفاظ تفيد المعنى التاريخي، كما جاء في صيغ العبارات الجدلية التي دحـضها القـرآن في رده علـى الكفـار والمـشركين والمنافقين وأهل الكتاب، فكل هذه العبارات تستنبط منها المعاني التاريخية التي لازمت وزامنت الحدث ووقعت فيه، وفيما يلي بعض الطـرق الـتي يمكـن أن يستنبط منها تحديد تاريخ النزول:

1. النص في الآية على الكلمة الزمانية أو المكانية :

ورد في الآيات القرآنية النص على بعض الكلمات الزمانية مثل اليوم والشهر والأشهر وفيها المعنى التاريخي الصريح دون تحديد عينه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا...﴾[92]، فالقرآن هنا يتحدث عن تاريخ يوم محدد ثبت في القرآن اسمه ولم يتعين تاريخه إلا في الرواية الحديثية أنه يوم الجمعة التاسع من شهر ذي الحجة سنة عشر للهجرة كما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[93].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ ...﴾[94]، فيه النص على الشهر واسمه وليس فيه تعيين السنة ومعلوم أن ذلك كان قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة.

(92) سورة المائدة، من الآية 3.

(93) سبق تخريجه.

(94) سورة البقرة، من الآية 185.

2 ـ الحكم بسبب ورود كلمات ظرفية زمانية أو مكانية في الآية :

مثل (الآن) و(من قبل) و (من بعد) و (كنت) (وكنتم) وغيرها، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[95]، في الآية الدلالة التاريخية عما كان يقوله اليهود قبل نزول القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[96]، فالآية تشير إلى ما قصه تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قبل تاريخ نزول هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمنا كلَّ ذِي ظُفُرٍ ومن البَقَرِ والغَنَمِ حرَّمنا عَلَيْهِم شُحُومَهُما إلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهورُهُما أوِ الحَوَايا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْم﴾[97]، كما صحت الرواية بذلك عن الحسن البصري[98]، وذكره عدد من المفسرين[99].

---

(95) سورة البقرة، الآية 89.

(96) سورة النحل، الآية 118.

(97) سورة الأنعام، من الآية 146.

(98) الطبري، جامع البيان، 14/ 190، وحكمت بشير ياسين، **التفسير الصحيح "موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور"** دار المآثر، المدينة النبوية، ط الأولى، 1420هـ، 1999م، 3/ 209، سيشار إليه فيما بعد هكذا: حكمت بشير، التفسير الصحيح.

(99) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، 1407، 1987م، 4/ 502، سيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن الجوزي، زاد المسير، والفخر الرازي، محمد ابن عمر، **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1411هـ 1990م، 20/ 106.

وقولـه تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[100]، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع أهل الكتاب إلى المباهلة إلا من بعد ما نزل عليه قرآن في حقيقة عيسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[101]، الآية تتحدث عن الذين هاجروا بعد غزوة بدر التي نزلت بشأنها سورة الأنفال، وتتحدث عن الهجرة وكلاهما معنيان تاريخيان.

3 . الحكم بالمناسبة التاريخية المتزامنة لحدث تاريخي متفق عليه :

ومثاله : نزول سورة الأنفال بعد غزوة بدر التي لم يختلف على تاريخها في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، فتاريخ نزول سورة الأنفال بعد الغزوة بحكم المناسبة التاريخية للغزوة، وكذلك تاريخ نزول سورة آل عمران بحكم المناسبة التاريخية لغزوة أحد، وتاريخ نزول سورة التوبة بحكم المناسبة التاريخية بعد غزوة تبوك، وهكذا.

---

(100) سورة آل عمران، الآية 61.

(101) سورة الأنفال، الآية 75.

4 . الحكم بالمناسبة التنزيلية إذا عرفت المناسبة التاريخية :

ومعنى ذلك كما سبق بيانه في علم المناسبة، الحكم بتاريخ نـزول آيـة أنـه كذا بناء على تحديد تاريخ نزول الآية أو الآيات التي قبلها، وذلك في السورة القرآنية الواحدة، فالآية التي يعلم تاريخ نزولها نحكم به على أنه أيضاً تـاريخ نزول الآيات التي قبلها والتي بعدها إلا إذا وجد تاريخ نزول خـاص لآيـة أو آيات أخرى من نفس السورة، فالأصل أن تاريخ نزول الآية هو تاريخ نـزول سورتها وكذلك تاريخ نزول السورة هو تاريخ نزول آياتهـا إلا بمـانع راجـح دراية ورواية، فالآيات في سياقها منزلـة معهـا في نجـم واحـد بحكـم المناسـبة التنـزيلية.

5 . النص في الآية على تنـزيل سابق :

مثاله قولـه تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾[102] ففي قولـه تعالى: ﴿وما يتلى عليكم﴾ إشارة إلى ما نزل في أول السورة، قالت عائشة: "ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله: ﴿ ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب.. .﴾ الآية، قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليه في الكتاب: الآية

---

(102) سورة النساء، الآية 127.

الأولى التي قال الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم منَ النِّسَاء﴾[103] "[104].

فالنص يبين أهمية معرفة ما نزل من قبل وما يتلى عليهم من الكتاب قبل نزول هذه الآية، وهذا لا يتم من غير معرفة تاريخ نزول آيات القرآن الكريم، فقد نزلت أحكام النساء في أول السورة ثم تعاقبت الأسئلة عليها فنزلت الأجوبة في آيات متأخرة في تاريخ النزول عن الآيات السابقة، فيها أحكام جديدة قد تكون مبينة أو ناسخة أو مقيدة لما نزل قبلها.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[105]، قال القرطبي: "الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من محق ومنافق؛ لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله، فالمنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُم حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾[106]، وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن..."[107].

---

(103) سورة النساء، من الآية 3.

(104) حديث عائشة سبق تخريجه، وانظر: الطبري، جامع البيان، 5/ 298، وحكمت بشير، التفسير الصحيح، 2/ 117.

(105) سورة النساء، الآية 140.

(106) سورة الأنعام، من الآية 68.

(107) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن 5/ 417.

قال ابن كثير: "وقوله ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه فلهذا قال تعالى: ﴿إنكم إذاً مثلهم﴾ في المأثم كما جاء في الحديث " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر"[108] والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك هو قوله تعالى في سورة الأنعام وهي مكية ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ الآية"[109].

وجه الدلالة هنا أن ما أحال عليه القرآن كان قرآناً أيضاً نزل من قبل، وقال: ﴿وقد نزل عليكم ﴾ أي الذي نزل عليكم في الآية (68) من سورة الأنعام المكية، المنزلة قبل سورة النساء المدنية.

6. مفهوم الآية يشير إلى نزول آية سابقة في الموضوع :

في هذه الحالة لا يوجد نص على نزول سابق وإنما معنى الآية يتطلب أن تكون الآية مسبوقة بآية أخرى تحدثت عنها الآية اللاحقة، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ

(108) رواه أحمد في المسند، برقم 125، 1/ 277، وقال محققه: حديث حسن لغيره، ورواه الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، في كتاب الأدب، باب ما جاء في دخول الحمام، برقم 2801، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الإسلامية، 5/ 113، ورواه الحاكم في المستدرك 4/ 288.

(109) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1/ 537.

إِلاَّ غُرُورًا﴾[110]، في هذه الآية ذكر لوعد من الله ورسوله، ولعله الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[111] فيما ذهب إليه بعض الباحثين وجزم بأن سورة النور نزلت قبل سورة الأحزاب[112]، ويمكن أن يكون المراد بالوعد في سورة الأحزاب الوعد بفتح قصور الشام ومدائن قيصر وكسرى، كما ورد عن قتادة وغيره من المفسرين[113].

---

(110) سورة الأحزاب، الآية 12.

(111) سورة النور، الآية 55.

(112) الدكتور محمد هلال : محاولة في ترتيب نزول السور المدنية، الحلقة الثالثة ضمن مجموعة مقالات متتابعة في جريدة اللواء الأردنية، ص 13، عدد 9/ 8/ 2000م.

(113) ابن الجوزي، زاد المسير، 6/ 359، وحكمت بشير، التفسير الصحيح، 4/ 117.

الخاتمة

قصد هذا الكتاب إلى تبيين معنى العلم بتاريخ نزول الآيات، وأهمية هذا العلم للمفسر والمتدبر، مع تبيين مصادره والطرق التي يمكن من خلالها تحديد وقت نزول الآية بصورة مؤكدة أحياناً أو تقريبية أحياناً أخرى.

وهذا العلم يشكل مبحثاً من مباحث علم نزول القرآن، ويظهر جانباً من الحكم الجليلة العديدة لنزول القرآن مفرقاً منجماً، ويعين المفسر والمتدبر للآيات على فهمها فهماً صحيحاً يربط من خلاله الآيات بالجو الذي نزلت فيه أو تحدثت عنه، إلى غير ذلك من فوائد هذا المبحث الجليل.

ولا يعني تتبع مراحل التنزيل والبحث في فوائده وثمراته ولا بأي حال من الأحوال الدعوة إلى إعادة ترتيب القرآن وفق نزوله أو الرضى بذلك، كما فعل بعض المفسرين المتأخرين، وكما دعا إليه عدد من المستشرقين الماكرين، فهذا فعل غير مقبول ومخالف لما أجمع عليه المسلمون من وجوب التزام ترتيب المصحف واحترامه، وهو ترتيب توقيفي بأمر الله تعالى كما يرى معظم العلماء، وموافق لما هو عليه في اللوح المحفوظ، فهدف هذا الكتاب لا يتعدى الدعوة إلى العلم بتاريخ نزول الآيات للاستعانة به على فهمها وتدبرها، وللاقتداء بالصحابة الكرام الذين كانوا يعلمون كل ما يتعلق بالآية، ومن ذلك معرفة وقت نزولها ومكانه بدقة تامة تدل على اعتنائهم بهذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

الفهرس



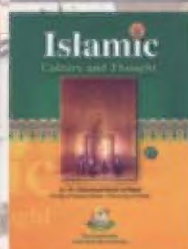






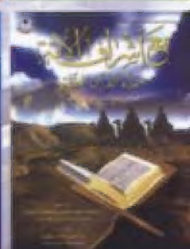


















من منشورات



جمعية المحافظة على القرآن الكريم
المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (00962 6 5153557) - فاكس (00962 6 5163925)
ص.ب (925894) - الرمز البريدي (11190)
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (17671)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org / e-mail:hoffaz@hoffaz.org

